بهذا فَضَلَكم محمّد

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ ـ فذكر الحديث ـ وفيه قال: ثم سار حتىٰ أتىٰ بيت المقدس ، فنزل فربط فرسه إلىٰ صخرةٍ ، ثم دخل فصلّىٰ مع الملائكة ، فلما قُضيت قالوا: يا جبريل ، من هذا معك؟ قال: محمد رسول الله وخاتم النبيين ، قالوا: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم. قالوا: حيّاه الله من أخٍ وخليفةٍ ، فنعم الأخ ، ونعم الخليفة ، ونعم المجيء جاء.

قال: ثم أتىٰ أرواح الأنبياء فأثنوا علىٰ ربهم ، قال: فقال إبراهيم عليه السلام: الحمد لله الذي اتخذ إبراهيم خليلاً ، وأعطاني مُلكاً عظيماً ، وجعلني أمةً قانتاً لله يُؤتمّ بي ، وأنقذني من النار ، وجعلها عليّ برداً وسلاماً.

قال: ثم إن موسىٰ عليه السلام أثنىٰ على ربّه ، فقال: الحمد لله الذي كلّمني تكليماً ، واصطفاني برسالته وكلماته ، وقرّبني إليه نجيّاً ، وأنزل عليّ التوراة ، وجعل هلاك آل فرعون علىٰ يدي ونجّىٰ بني إسرائيل علىٰ يدي.

قال: ثم إن داود عليه السلام أثنىٰ على ربه فقال: الحمد لله الذي خوّلني مُلكاً ، وأنزل عليّ الزبور ، وألان لي الحديد ، وسخّر لي الطير والجبال ، وآتاني الحكمة وفصل الخطاب.

ثم إن سليمان عليه السلام أثنىٰ على ربّه فقال: الحمد لله الذي سخّر لي الرياح ، والجنّ ، والإنس ، وسخّر لي الشياطين يعملون ما شئتُ من محاريب وتماثيل... إلىٰ آخر الآية ، وعلّمني منطق الطير ، وكل شيء ، وأسال لي عين القِطْرِ ، وأعطاني مُلكاً عظيماً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي.

ثم إن عيسىٰ عليه السلام أثنىٰ على ربه فقال: الحمد لله الذي علّمني التوراة

والإنجيل ، وجعلني أُبرئ الأكمه والأبرص ، وأُحيي الموتىٰ بإذنه ، ورفعني ، وطهّرني من الذين كفروا ، وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان علينا سبيل.

ثم إن محمداً ﷺ أثنىٰ علىٰ ربه فقال: «كلكم قد أثنىٰ على ربه وإني مُثنٍ علىٰ ربي ، فقال: الحمد لله الذي أرسلني رحمةً للعالمين ، وكافةً للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل عليّ الفرقان فيه تبيانُ كل شيء ، وجعل أمتي خير أمةٍ أخرجت للناس ، وجعل أمتي أمةً وسطاً ، وجعل أمتي هم الأوّلون وهم الآخرون ، وشرح صدري ، ووضع عنّي وزري ، ورفع لي ذكري ، وجعلني فاتحاً وخاتماً». فقال إبراهيم عليه السلام: بهذا فضلكم محمد ﷺ[1].

أجل يا إمام الرسل يا أبا القاسم:

إن في تقديم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لك ، لتُصلّي بهم إماماً ، دليلاً واضحاً علىٰ المقام الرفيع الذي نلته ، فصلاة الله عليك يا روح الوجود يا محمد:

يا خير من يمّم العافونَ ساحتَه ... سعْياً وفوق متون الأينق الرُّسمِ
ومن هو الآية الكبرىٰ لمعتبرٍ ... ومن هو النعمة العظمىٰ لمغتنمِ
سريتَ من حرم ليلاً إلىٰ حرمٍ ... كما سرىٰ البدر في داجٍ من الظُّلَمِ
وبتَّ ترقىٰ إلىٰ أنْ نلتَ منزلةً ... من قاب قوسين لم تُدرَك ولمْ تُرَمِ
وقدّمَتْك جميع الأنبياء بها ... والرسل تقديم مخدومٍ علىٰ خدمِ
وأنت تخترق السّبع الطباق بهم ... في موكبٍ كنتَ فيه صاحبَ العلمِ
حتىٰ إذا لم تدعْ شأواً لمُستبقٍ ... من الدنوّ ولا مرقىٰ لمُستنمِ
خفضْتَ كل مقامٍ بالإضافة إذ ... نوديتَ بالرفع مثلَ المفرد العلمِ
كيما تفوز بوصلٍ أيّ مستترٍ ... عن العيون وسرٍّ أيّ مُكتتمِ
فحُزتَ كل فخارٍ غير مُشتركٍ ... وجُزت كل مقامٍ غير مزدحمِ
وجلّ مقدارُ ما وُليتَ من رتبٍ ... وعزَّ إدراكُ ما أولَيتَ من نِعمِ

* * *

(١) دلائل البيهقي: ٢/٣٩٩ ، مجمع الزوائد للهيثمي: ١/٦٨.